@ 745 @ لا يسمعون) ^ له سماع قبول وإجابة ، وإن كانوا قد سمعوه سماعا ، تقوم عليهم به الحجة الشرعية . ^ (وقالوا) ^ أي : هؤلاء المعرضون عنه ، مبينين عدم انتفاعهم به ، بسد الأبواب الموصلة إليه : ^ (قلوبنا في أكنة) ^ أي : أغطية مغشاة ^ (مما تدعونا إليه وفي آذننا وقر) ^ أي : صمم فلا نسمع ^ (ومن بيننا وبينك حجاب) ^ فلا نراك . القصد من ذلك ، أنهم أظهروا الإعراض عنه ، ومن كل وجه ، وأظهروا بغضه ، والرضا بما هم عليه ، ولهذا قالوا : ^ (فاعمل إننا عاملون) ^ أي : كما رضيت بالعمل بدينك ، فإننا راضون كل الرضا بالعمل في ديننا . وهذا من أعظم الخذلان ، حيث رضوا بالضلال عن الهدى ، واستبدلوا الكفر بالإيمان ، وباعوا الآخرة بالدنيا . ^ (قل) ^ لهم ، يا أيها النبي : ^ (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) ^ أي : هذه صفتي ووظيفتي ، أني بشر مثلكم ، ليس بيدي من الأمر شيء ، ولا عندي ما تستعجلون به . وإنما فضلني ا عليكم ، وميزني ، وخصني ، بالوحي الذي أوحاه إلي وأمرني باتباعه ، ودعوتكم إليه . ^ (فاستقيموا إليه) ^ أي : اسلكوا الصراط الموصل إلى ا تعالى ، بتصديق الخبر الذي أخبر به ، واتباع الأمر ، واجتناب النهي ، هذه حقيقة الاستقامة ، ثم الدوام على ذلك . وفي قوله : ^ (إليه) ^ تنبيه على الإخلاص ، وأن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده وغايته ، التي يعمل لأجلها ، الوصول إلى ا ، وإلى دار كرامته ، فبذلك يكون عمله خالصا صالحا نافعا ، وبفواته ، يكون عمله باطلا . ولما كان العبد ، ولو حرص على الاستقامة ، لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور ، أو ارتكاب منهي ، أمرهم بدواء ذلك بالاستغفار المتضمن للتوبة فقال : ^ (واستغفروه) ^ ثم توعد من ترك الاستقامة فقال : ^ (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) ^ أي : الذين عبدوا من دونه ، من لا يملك نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا . ودسوا أنفسهم ، فلم يزكوها بتوحيد ربهم والإخلاص له ، ولم يصلوا ولا زكوا ، فلا إخلاص منهم للخالق بالتوحيد والصلاة ، ولا نفع للخلق منهم بالزكاة وغيرها . ^ (وهم بالآخرة هم كافرون) ^ أي : لا يؤمنون بالبعث ، ولا بالجنة والنار . فلذلك لما زال الخوف من قلوبهم ، أقدموا على ما أقدموا عليه ، مما يضرهم في الآخرة . ولما ذكر الكافرين ، ذكر المؤمنين ، ووصفهم وجزاءهم ، فقال : ^ (إن الذين آمنوا) ^ بهذا الكتاب ، وما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان ، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص ، والمتابعة . ^ (لهم أجر) ^ أي : عظيم ^ (غير ممنون) ^ أي : غير مقطوع ولا نافد ، بل هو مستمر مدى الأوقات ، متزايد على الساعات ، مشتمل على جميع اللذات والمشتهيات . ^ (

قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيهآ أقواتها في أربعة أيام سوآء للسآئلين * ثم استوى إلى السمآء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتآ أتينا طآئعين * فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سمآء أمرها وزينا السمآء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) ^ ينكر تعالى ويعجب ، من كفر الكافرين به ، الذين جعلوا معه أندادا يشركونهم معه ، ويبذلون لهم ما يشاءون من عباداتهم ، ويسوونهم بالرب العظيم ، الملك الكريم ، الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة ، في يومين ، ثم دحاها في يومين ، بأن جعل فيها رواسي من فوقها ، ترسيها عن الزوال والتزلزل وعدم الاستقرار . فكمل خلقها ، ودحاها ، وأخرج أقواتها ، وتوابع ذلك ^ (في أربعة أيام سواء للسائلين) ^ عن ذلك ، فلا ينبئك مثل خبير . فهذا هو الخبر الصادق الذي لا زيادة فيه ولا نقص . ^ (ثم) ^ بعد أن خلق الأرض ^ (استوى) ^ أي : قصد ^ (إلى) ! 2 2 ! (السماء وهي دخان) ^ قد ثار على وجه الماء . ^ (فقال لها) ^ ولما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص ، عطف عليه بقوله : ^ (وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) ^ أي : انقادا لأمري ، طائعتين أو مكرهتين ، فلا بد من نفوذه . ^ (قالتا أتينا طائعين) ^ أي : ليس لنا إرادة تخالف إرادتك . ^ (فقضاهن سبع سموات في يومين) ^ فتم خلق السموات والأرض في ستة أيام ، أولها يوم الأحد ، وآخرها يوم الجمعة ، مع أن قدرة ا ومشيئته ، صالحة لخلق الجميع في لحظة واحدة . ولكن مع أنه قدير ، فهو حكيم رفيق . فمن حكمته ورفقه ، أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة . واعلم أن ظاهر هذه الآية ، مع قوله تعالى في النازعات ، لما ذكر خلق السموات قال : ^ (والأرض بعد ذلك دحاها) ^ يظهر منها التعارض ، مع أن كتاب ا ، لا تعارض فيه ولا اختلاف . والجواب عن ذلك ، ما قاله كثير من السلف ، أن خلق الأرض وصورتها ،